# مؤسسة الصلاح والمجتمع في تافيلالت والمناطق المحاذية لها
## – الأدوار والوظائف –

عبد الله داد

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، درعة–تافيلالت الرشيدية

المملكة المغربية

**الملخص:**

يتناول المقال حضور الولاية والصلاح في تافيلالت (تيزيمي والمعاضيد) خلال القرن العشرين بوصفه ظاهرة اجتماعية متجذّرة تتجاوز البعد التعبدي إلى أدوار عملية في حياة الناس: تأطير ديني وتعليمي (إمامة، تعليم القرآن، تربية روحية)، تحكيم وحلّ النزاعات حول الماء والملكية وداخل الأسر، تعبئة سياسية ودعوة للجهاد ضد التهديدات الاستعمارية، وإسناد اجتماعي عبر إطعام الطعام زمن الأزمات. كما اضطلع الأولياء بدور الوساطة الروحية في الاستسقاء وطلب الغوث، وبالاستشفاء من أمراض عضوية ونفسية مع "تخصّص" بعض الأضرحة. وبعد وفاة الأولياء استمر حضورهم من خلال شبكة الأضرحة والمزارات والمواسم (مثل دلائل الخيرات وموسم مولاي إبراهيم) التي أدّت وظائف ضبط اجتماعي ورمزي، بل تحوّل بعضها إلى فضاءات لفضّ الخصومات والادخار. ورغم شحّ المصادر المكتوبة، تكشف الذاكرة الشفوية عن أن الولي ظلّ فاعلًا مركزيًا في النسيج الواحي، قبل الوفاة وبعدها، بأشكال تتكيّف مع حاجات المجتمع المحلي.

**الكلمات الدلالية:** الولاية الصوفية، تافيلالت، تيزيمي، المعاضيد، الأضرحة والمزارات، المواسم الدينية، التحكيم وفضّ النزاعات، الاستسقاء، الاستشفاء، دلائل الخيرات، مولاي إبراهيم، التاريخ الاجتماعي.



© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

إن البحث في ظاهرة الولاية والصلاح بالمغرب باعتبارها ظاهرة تاريخية اجتماعية ومجتمعية لا يمكن أن تكتمل أركانه إلا بطرق مختلف العلائق التي ربطت من وسموا بالولاية والصلاح بمحيطهم المجتمعي، فقد تغلغل الصلاح في العمق الاجتماعي المغربي لدرجة أصبحت معها جغرافية المغرب جغرافية قدسية. حيث عمت الأضرحة والزوايا والمزارات مختلف أنحاء البلاد حواضر وبوادي، ومجال واحات تافيلالت الكبرى لا تشكل نشازا في هذا الإطار، إذ عرفت قصورها خلال حقب متعاقبة من تاريخها استقرار عدد من الأولياء والصلحاء الذين ساهموا في صياغة التاريخ الاجتماعي للمنطقة، كما تضم هذه القصور مجموعة من الأضرحة والمزارات المنسوبة إليهم. فماهي طبيعة العلائق التي ربطت رجال الولاية الصوفية وساكنة واحتي تيزيمي والمعاضيد خلال القرن العشرين؟ وماهي مختلف الأدوار التي لعبها هؤلاء داخل هذا النسيج المجتمعي ؟ وماهي المواقف التي عبر عنها هؤلاء من بعض القضايا ؟ وهل خفت حضور الولي الصوفي داخل هذا المجتمع الواحي بعد غيابه ورحيله ؟ أم أن هذا الحضور سيستمر متخذا أشكال مختلفة ؟

## 1. الولي الصالح بمجالات تافيلالت – الأدوار والوظائف –

إن استناد الأولياء على الكرامة الصوفية، مع ما لهذه الأخيرة من وظيفة نفسية على قطاع عريض من شرائح المجتمع جعلهم يلعبون أدوارا هامة داخل المجتمع خاصة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، لآن الفرد في أي مجتمع من المجتمعات تتعاقب غليه حالات يشعر فيها بالخوف من البشر ( سلطة سياسية، لصوص...)، و من الطبيعة (فقر، مرض، كوارث، جفاف، مجاعات...)، أو بعجز عن تحقيق رغباته (إنجاب أطفال، افتداء أسير...)، فيكون الولي — انطلاقا من معتقده – هو الملاذ الوحيد والأوحد لتحقيق مسعاه [1]، فإلى أي حد ينطبق هذا كله على منطقة ومجال تافيلالت محور هذه الورقة ؟

على الرغم من شح المادة المصدرية المتوفرة حول أولياء وصلحاء مجالات تافيلالت واحوازها، فإنه يمكن استخراج بعض المعطيات المتعلقة ببعض الأدوار التي لعبها هؤلاء في تفاعل مع مكونات هذا المجتمع، كما أن الذاكرة المحلية مازالت تختزن بعض المعطيات حول هذا الموضوع. وعلى هذا الأساس يمكن عرض هذه الوظائف على النحو التالي:

### – التأطير الديني والعلمي.

شكل التأطير الديني والعلمي أحد المهام التي اضطلع بها عدد من أولياء و صلحاء قصور المجال الواجب لتافيلالت، فعدد من هؤلاء تخرج من مؤسسة الزاوية التي شكلت —كما هو معلوم – مركزا علميا، يكون شيخه عالما، أو " طالبا " على الأقل [2]، و في هذا الاتجاه نذكر الولي **سيدي أحمد بن الهاشمي** الذي كان إماما بمسجد **قصبة المحيريكية**، والذي تصدى للإرشاد الديني بالمنطقة، ، وعلى نفس النهج سار سيدي **حمو بن حامد** دفين المعاضيد حيث تصدى لمهمة تدريس القرآن الكريم، والقيام بالتربية الروحية لعدد من ساكنة المنطقة [3]، ولاشك أن عددا من أولياء المنطقة قد تصدوا لهذه المهمة خاصة منهم أولئك الذين تخرجوا من نظيمة الزاوية.

[1] – القادري بوتشيش إبراهيم: المغرب و الأندلس في عصر المرابطين: المجتمع / الذهنيات / الأولياء، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط2، 2002، صص:: 155-156..

[2] *LAROUI ABDALLAH; les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 – 1912), centre cultuel arabe, Casablanca, 2ème édition, 2001. p 141.*

[3] – – رواية شفوية استقيتها من السيد المنياني أحد أحفاد سيدي حمو بن حامد، 90 سنة، الساكن بمنطقة المدَّة بالمعاضيد، بتاريخ: 14 / 05 / 2009.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**– التحكيم وفض النزاعات الاجتماعية.**

بالنظر إلى اختلاف المصالح الاقتصادية، وتشابك المعطيات اليومية في بنيات اجتماعية متضاربة، كانت تعيش في ظل انقسامات كانت أحيانا تتخذ صفة حادة [1]، و هذا ما ينطبق على منطقة تافيلالت نواحيها ،فقد برز دور الولي الصالح كحكم بين المجموعات المتنازعة ، و تذكر الرواية المحلية بهذا الصدد أن الولي الصالح **سيد العرابي** دفين قصر رزيقات كان يقوم بالتحكيم بين المجموعات المتنازعة بالمنطقة، [2]، هذه النزاعات التي كانت تنشب حول مياه السقي، أو حول الملكيات، و تضيف نفس الرواية أن هذا الولي كان يفض أيضا النزاعات التي كانت تنشب داخل العائلات والأسر ( ما يعرف ب العار)، نفس الدور كان يقوم به الولي الصالح مولاي العربي المدغري دفين قصر أولاد علي [3]، إلى جانب هذا الدور كان بعضهم يلعب هذا الدور التحكيمي بين الطوائف الصوفية، و هذا ما كان يقوم به **سيدي حمو بن حامد** بالفصل في النزاعات التي كانت تنشب بين الطوائف الصوفية بالمنطقة [4]، وعلى هذا الأساس فالولي يمارس نوعا من الحياد، مما يجعله يحظى باحترام الجميع، كما أنه يكون عادلا في أحكامه بين المتنازعين [5]. فهل يعتبر هذا الحياد قاعدة ؟ أم أن هناك من أولياء المنطقة من انحاز إلى فئة دون أخرى ؟

**– التأطير السياسي والدعوة إلى الجهاد:**

شكل الجهاد الفعل العلمي التاريخي المؤطر لزعامة وحظوة الصلحاء، فقد عمل هؤلاء بطرق عدة على تعبئة الجماهير من أجل مدافعة العدو الكافر، مما جعل الفعل الجهادي الممارس من طرف الصلحاء يجمع بين قيمتين لهما موقع أساسي في البنية الإسلامية تتمثلان في الجهاد والصلاح، مما أسس لثقة الناس الكاملة في شخصية الصالح [6]، وعلى هذا النهج سار الولي الصالح **سيدي أحمد بن هاشم** نزيل قصبة المحيريكية، فقد كان الرجل على وعي تام بخطورة الموقف الذي كانت تواجهه منطقة الجنوب الشرقي للمغرب من جراء تهديدات القوات الفرنسية القادمة من الجزائر آنذاك فقد كان الرجل منخرطا في سلك الطريقة الدرقاوية بتافيلالت بزعامة الشيخ محمد بن العربي المدغري الذي وزع عام 1863 منشورا مطولا للتحريض على الجهاد [7]، و قد سار سيدي أحمد بن هاشم على نفس خطى شيخه المدغري حيث ألف كتابه الشهير " **تحفة الراغب في السعادة، في الترغيب لطب الشهادة، و آداب الغزو و حكمه وفضل الشهادة** "، كما أن الرجل ومما لا شك فيه كان يدعو الجماهير من فوق المنبر إلى الجهاد، ولتصدي للخطر المحدق بالبلاد.

---

[1] – الشاذلي عبد اللطيف: التصوف والمجتمع– نماذج من القرن العاشر الهجري. منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، سلسلة رسائل و أطروحات 4، مطابع سلا، 1989، ص: 122.

[2] – – رواية شفوية استقيتها من السادة: العياشي 70 سنة، سالم: 81 سنة، و أخته غزالة 74 سنة، الساكنين بقصر رزيقات، بتاريخ: 05 / 05 / 2009.

[3] – – رواية شفوية استقيتها من السيدين: مولاي سليمان 80 سنة، الساكنن بقصر أولاد عقبة، بتاريخ: 03 / 05 / 2009

[4] – رواية شفوية مستقاة من السيد المنياني، م س.

[5] –

*LAROUI ABDALLAH; les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 – 1912) opp cit,, p ; 142.*

[6] – الزاهي نور الدين: بركة السلطان، دفاتر وجهة نظر 12، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط 2007، ص: 59.

[7] – المنوني محمد: مظاهر يقظة المغرب الحديث، (جزأن)، مطبعة المتوسط بيروت، ج 1، ص: 350.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وتشير الرواية المحلية أيضا إلى أن **سيدي محمد بن عبد الله** دفين قصر هبيبات بتيزيمي الذي أنه كان رجلا مجاهدا [1]، دون أن تعطي تفاصيل أكثر في هذا الاتجاه. وعلى أي فقد شكل الجهاد عنصرا آخر تبلورت من خلاله علاقة الصالح بمجتمع تيزيمي والمعاضيد الذي استجاب لدعوة الصلحاء لجهاد العدو الكافر [2].

**– إطعام الطعام:**

شكلت ظاهرة إطعام الطعام للوافدين وعابري السبيل، وكذا المقيمين أحد وظائف الأولياء والصلحاء بمنطقة تافيلالت ، وهنا يمكن إدراج صنف من الكرامات ذات الصلة بهذه الوظيفة، و يتعلق الأمر بتلك المرتبطة بمواجهة الجوعٍ كإخراج الرغيف لمسافر في الصحراء، وإطعام جم غفير من الناس بكمية قليلة من الطعام، فيكفيهم، فأحمد بن هاشم الفيلالي "كان يطعم بالشيء اليسر الجم الغفير، و كان يقع له ذلك في كثير من الأوقات عند الاحتياج " [3]، فالخوف من المجاعة و نقص الغذاء كان يعيش دائما في ذهن الإنسان ، مما يدفعه إلى البحث المستميت عن حل دائم لهذه المشكلة، فلا يجد أحسن من أن يكلف الصالح بتدبير هذه الأزمة. [4]. لقد لعب بعض الأولياء بذلك دورا إحسانيا وقفوا من خلاله إلى جانب الساكنة خاصة زمن الأزمات والكوارث وخلال فترات تراجع أو غياب السلطة المركزية.

**– الاستسقاء و طلب الغوث:**

إن موقع الجغرافي المتميز لمجال تافيلالت ضمن مناطق جنوب شرق سلسلة جبال الأطلس الكبير المتميزة بمناخها شبه الصحراوي الذي يتميز بفترات من الجفاف قد تدوم مددا طويلة، مما يؤثر سلبا على المستوى المعيشي للساكنة التي تعتمد على النشاط الفلاحي المرتبط بالسقي بمياه الأمطار يدفع الأهالي إلى البحث عن عدة وسائل للخروج من هذه المشكلة..

و تتراءى كارثة الجفاف في المعتقدات الشعبية من خلال منظور ديني يفرغها من صبغتها الطبيعية، ويجعل منها ظاهرة غيبية، فشح الأمطار، و تسلط الجراد، وانتشار الجوع الذي يسوق الناس بالجملة إلى القبر، كل هذا يصب في مخيلة المعاصرين في صورة عقاب من السماء نزل بسبب خطايا مجهولة، فالكارثة لا تنزل فجأة من السماء، و إنما هي مرتبطة ارتباطا هيكليا بأعمال البشر [5].

من هنا كان لزاما على الساكنة البحث عن وسائل لمواجهة مثل هذه الكوارث، فكان اللجوء إلى الأولياء والصلحاء أحد هذه الوسائل، فاللجوء إلى الصالح في مثل هذه الحالات يصبح أمرا ضروريا، كما أن هذا الأخير قد يكون واعيا بهذه المسألة فهذا سيد العرابي دفين **قصر رزيقات** يدعو ساكنة تيزيمي إلى اللجوء إليه كلما نزلت بهم كارثة الجفاف، حيث يقول: " **أنا كربتكم أ تيزيمي فوكما عطشتو أجوني** " [6]، فالولي الصالح بهذا المفهوم مجاب الدعوة، وبالتالي فهو يلعب دور الوسيط بين الله والناس من أجل تحقيق غاياتهم، والخروج من أزمتهم.

[1] – رواية شفوية مستقاة من السيدة مينة الدكيري، 80 سنة، الساكنة بقصر هبيبات، بتاريخ: 08 / 05 / 2009.

[2] – أشبرو مبارك: ملامح المقاومة بمدينة أرفود و ضواحيها. جريدة فضاء سجلماسة، ع 32، أكتوبر 2001

[3] – السوسي محمد المختار: المعسول:، 20 جزءا) مطبعة النجاح ، ط 1961، ج 16، ص: 359.

[4] – الشادلي عبد اللطيف: التصوف و المجتمع، م س، ص: 113.

[5] – الأمين البزاز محمد: تاريخ المجاعات و الأوبئة بالمغرب في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 18، مطابع النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1992، ص: 347.

[6] – رواية شفوية استقيتها من السادة: العياشي 70 سنة، سالم: 81 سنة، و أخته غزالة 74 سنة، الساكنين بقصر رزيقات، م س.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

– الاستشفاء و علاج الأمراض المستعصية.

يبدو أن مجتمع واحةتافيلالت والمناطق المحيطة به، كغيرها من مناطق المغرب قد عرف استشراء عدة أمراض فتاكة بالإنسان، استعصى علاجها، وخاصة في البوادي إلا بما توارثه الأبناء عن أباءهم و أجدادهم من طب شعبي محلي قد لا يفي بالمتطلبات في بعض الأحيان، فكان من الطبيعي أمام هذا الإحساس بالعجز أن يتوجه المرضى إلى من يعتقد أن له كرامات وخوارق للاستشفاء به، وهو الولي، فهو الطبيب المداوي، و صانع المعجزات [1]، و تجدر الإشارة هنا إلى ظاهرة مثيرة للانتباه تتمثل في أن كل ولي كان متخصصا في علاج مرض معين، فسيدي برحو دفين قصر أولاد مولود على سبيل المثال كان مختصا في علاج مرض الحمى [2]. فلماذا يتخصص أولياء في علاج أمراض دون أخرى ؟

إذا كان أولياء وصلحاء منطقة المجتمع الفيلالي قد ربطوا علاقات وطيدة مع الساكنة قاموا من خلالها بمجموعة من الوظائف ، فإن هذه العلاقة لم تنقطع بوفاة هؤلاء، بل استمرت حتى بعد رحيلهم، متخذة عدة أشكال تنوعت بين زيارة أضرحتهم، وتنظيم المواسم الدينية المرتبطة بهم، وإذا كانت الذاكرة المحلية تعاني نوعا من القصور في تقديم تفاصيل كافية حول حياة هؤلاء الأولياء، فإنها بالمقابل لا تزال تحتفظ بمعلومات غزيرة عما يتعلق بزيارة هذه الأضرحة، و كذا عن تلك المواسم الدينية التي ظلت تنعقد حتى وقت قريب.

## 2. المزارات والأضرحة والمواسم امتداد لحضور الولي الصالح داخل المجتمع الواحي

### 1) المزارات والأضرحة

يقول بول باسكون [3] إن المغرب يعد البلد من بين البلدان الإسلامية التي يبجل أكبر عدد من الأولياء، إذ لا وجود فيه مطلقا لهضاب لا يتوجها مزار، وقليلة هي القرى أو المقابر التي لا يوجد بها ضريح يضم وليا، أو أكثر. إن هذه القولة تنطبق بالفعل على منطقة تيزيمي والمعاضيد فنادرا ما يوجد قصر خال من ضريح أو قبر ولي أو أكثر، أو مزار تبجله ساكنة القصر. و يمكن تصنيف هذه الأضرحة والمزارات إلى صنفين أضرحة ومزارات مصنفة، وأخرى غير مصنفة، ويقصد بأضرحة الصنف الأول تلك التي تعم شهرتها المنطقة برمتها، بل وقد تتعداها أحيانا إلى مناطق مجاورة، وتتسم هذه الأضرحة بشساعة وفخامة بناياتها، كما تتميز بحجم تجهيزاتها، وأناقة زخارفها، وذلك لتوفرها على قاعدة اقتصادية، تتمثل فيما تتوفر عليه من أراضي زراعية، وعقارات، بالإضافة إلى ما يقدمه الزوار من هدايا وقرابين[4]، و يمكن إدراج " ضريح " مولاي إبراهيم الكائن بالقصر الذي يحمل نفس الإسم بتيزيمي ضمن هذا الصنف. أما الصف الثاني وهو الأكثر انتشارا و يشمل قبور الأولياء ذوي الشهرة المحلية، والوجود التاريخي المغمور، والصعب الإثبات أحيانا، وذات البنايات المتواضعة، تتوسط غالبا المقابر التي يدفن فيها السكان موتاهم [5]، وهذا النوع منتشر بشكل واسع بالمنطقة. هذه الأضرحة والقبور والمزارات كانت تقوم بمجموعة من الوظائف، وتقدم عدة خدمات لزوارها، باعتبار أنها تضم جثامين أولياء يُعتقد أنهم يمتلكون القدرة على قهر الأرواح الشريرة، وجلب الخير لمن يرضيهم، وإلحاق الشر بمن يسخطهم، و ذلك بفضل ما لديهم من بركات اكتسبوها من خلال تقربهم من الحضرة الإلهية، مما أهلهم للتوسط بين الإله والبشر، مما يؤكد أن فاعليتهم لا تنتهي بموتهم البيولوجي ، فالأولياء يظلون أحياء حتى بعد أن تختفي أجسادهم تحت الثرى، فهم يواصلون التدخل من داخل قبورهم وأضرحتهم للتوسط عند الله لقضاء حاجات قاصديهم من الناس، و هذا ما يحرص المشرفون على هذه الأضرحة، و كذا الأتباع و المريدون على

[1] - LAROUI ABDALLAH; les oregines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 – 1912) , p : 140.

[2] – رواية شفوية استقيتها من السيد لحسن بوركة، 70 سنة، الساكن بقصر أولاد عبد النبي، بتاريخ: 07 / 05 / 2009

[3] – باسكون بول: الأساطير و المعتقدات بالمغرب، ترجمة مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة، م س، ص: 96.

[4] – منديب عبد الغني: الدين و المجتمع – دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق الدار البيضاء، ط 2006، صص: 83/82.

[5]– م ن، ن ص.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

إشاعته من خلال رواياتهم الشفوية حول الحاجات التي قضيت بفضل بركات الولي، و تظل قوة النية المحدد الأساس لاستجابة الطلب، و قضاء الحاجة [1]، و هذا ما يستشف من خلال الأقوال التي يرددها عدد من السكان مثل " **دير النية، و اركد مع الحية** "، **و دير النية تمشي بحاجتك مقضية** ".، و يمكن حصر الوظائف و الأدوار التي كانت تقوم بها – و إلى وقت قريب – هذه المؤسسات داخل مجتمع تيزيمي والمعاضيد على النحو التالي:

**– فض النزاعات بين المتخاصمين**

شكلت أضرحة عدد من أولياء منطقة تافيلالت ،هيأت يلجأ إليها المتخاصمون، و في هذا الإطار تذكر الرواية المحلية أن ضريح الولي الصالح سيدي محمد ابن عبد الله دفين قصر هبيبات كان مخصصا لأداء اليمين بين المتنازعين، مستعملين عبارات " **أو حق بن عبد الله** " **أو** " **داخلت عليك بابن عبد الله** "، فالجاني لا يمكن أن يحلف بالولي كذبا، و كل من تجرأ على ذلك – حسب نفس الرواية– فإن العقاب الإلهي سيطاله عاجلا أو آجلا [2]، فالولي بهذا المفهوم يشكل من داخل قبره ضمانة لاستمرار التوازن الاجتماعي داخل القصر.

**– الأضرحة أماكن للادخار:**

شكلت العديد من الأضرحة بمنطقة تافيلالت والمناطق المحيطة بها مستودعا لبعض السكان الذين يخشون على أموالهم من الضياع أو السرقة حتى في بيوتهم، مما كان يدفعهم إلى دفنها في عدد من الأضرحة، اعتبارا لحرمتها، و اعتقادا منهم بأنها مناطق آمنة لإيداع مدخراتهم [3]، مما أدى إلى بروز ما يسمى بظاهرة الكنوز و المرتبطة أساسا بأشخاص قادمين من منطقة سوس يحترفون مهنة البحث و التنقيب عن هذه الكنوز في عدد من الأماكن من بينها الأضرحة، فمنذ حوالي 15 سنة تعرض قبر الولي الصالح سيدي بوبكار للنبش، و تذكر الرواية المحلية أن عددا من الطلبة و الفقهاء السوسيين هم الذين قاموا بهذا الفعل بحثا عن كنز يعتقدون أنه مدفون داخل القبر[4]، نفس الحادثة وقعت بضريح **مولاي العربي المدغري** دفين قصر أولاد علي [5]. مما يدل على أن الضريح كان في حقب زمنية معينة بمثابة " مؤسسة بنكية " للإيداع الأموال و المدخرات.

**– الاستشفاء و الاستسقاء، و قضاء الحاجات**

تعرف معظم أضرحة منطقة تافيلالت بشفائها لأمراض معينة، عضوية أو نفسية يُنظر إليها باعتبارها ناتجة عن مس من الجن، أو عمل سحري كأمراض الفصام والصرع، وما شابههما، لذلك شكلت هذه المؤسسات ملجأ لهؤلاء المصابين. ومما يلفت الانتباه هنا هو أن كل ضريح كان مختصا بعلاج مرض معين، فقبر سيدي بوزيد دفين قصر رزيقات كان خاصا بعلاج أمراض المسالك البولية، فقد كان المصابون بهذا المرض يأتون إلى قبر هذا الولي، فيتمرغون فوقه، فيشفون ببركة الولي [6]، أما المصابين بالحمى فقد كانوا يلجؤون إلى عدد من الأضرحة، كقبر سيدي بنافع دفين قصر الحساسنة [7]، نفس المهمة كان يقوم بها ضريح سيدي بوبكار دفين

---

[1] – – منديب عبد الغني: الدين و المجتمع ، صص: 150 / 151.

[2] – رواية شفوية مستقاة من السيد مولاي هاشم الراشدي 66 سنة، الساكن بقصر هبيبات، بتاريخ: 05 / 05 / 2009.

[3] – رواية شفوية مستقاة من السيدة فاطمة فراس 74 سنة، الساكنة بقصبة بنعلي، بتاريخ: 31 / 05 / 2009

[4] – – رواية شفوية استقيناها من مولاي علي علوي بوبكري، أحد أبناء مولاي العربي المدغري ، 86 سنة، الساكن بحي البطحاء بمدينة أرقود، بتاريخ: 03 / 05 / 2009..

[5] – م ن.

[6] – رواية السيد سالم و أخته غزالة، م س.

[7] – رواية السيد محمد بلمكي، 70 سنة الساكن بقصر الحساسنة، بتاريخ: 20019/05/05.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

قصر أولاد ابحر، فمن كان مصابا ب " الحمى الباردة "كان يأخذ إليه كمية من الدقيق، و من كان مريضا ب " الحمى الحامية " كان يأخذ إليه خبزة ساخنة، مرددين عبارة " الباردة بالباردة او الحامية بالحامية " [1].

إلى جانب علاج الأمراض العضوية اختصت بعض الأضرحة بعلاج بعض الأمراض النفسية والعقلية، وعلى رأس هذه الأضرحة ضريح " **مولاي إبراهيم بن هلال** الذي ذاع صيته في كافة مناطق تيزيمي، بل تعداه إلى خارج المنطقة إذ يقصده الزوار من مناطق أخرى كالريصاني والجرف [*]، و تذكر رواية مقدم الضريح [2] أن بركة الولي مولاي إبراهيم ساهمت في علاج عدة حالات مستعصية من الأمراض العقلية، حيث يتم إحضار المرضى في أيام الخميس إلى الضريح، حيث يُطاف به 3 مرات حول قبر الولي، ثم تقيد يداه و رجلاه، و يشد جسمه إلى إحدى سواري الضريح، ثم يغلق عليه المقدم باب الضريح، فيقضي المريض ليلته هناك، فكلما " أطلق الله سراحه، ببركة الولي قيده " — حسب رواية المقدم – يتجه صوب الباب ليفتحه، فيخرج إلى باحة الضريح، فيكون بذلك قد شفي ببركة الولي.

وعليه فإن شفاء المريض يظل رهينا بنيته، و لا يمكن التشكيك في القدرة الإلهية في علاج هذه الأمراض ببركة الولي ، و حتى إذا لم يشف المصاب فإن هذا لا يعني قصورا في كرامة الولي، بل يعني خللا في نية المصاب نفسه.

إلى جانب الاستشفاء لعبت الأضرحة بمنطقة تافيلالت دورا بارزا في الاستسقاء وطلب الغوث، خلال فترات الجدب، حيث. تشحذ الساكنة كافة قدراتها المادية والرمزية من أجل التخفيف والحد من أضرار هذه الظاهرة الطبيعية من خلال مجموعة من الممارسات والطقوس أبرزها التوسل بالأولياء ، و القيام ببعض الممارسات في أضرحتهم، وتغعد ظاهرة تاعنجا إحدى هذه االسلوكات، والتي اعتبرها أحد الباحثين طقسا متوسطيا ذو علاقة باستنزال المطر، ولفظ تاغنجا مأخوذ من كلمة أغنجا الأمازيغية التي تعني الملعقة الخشبية الكبيرة، أكثر الأدوات استعمالا، و التي تُلبس لباسا على شكل عروس يحملها أطفال، يجوبون بها أزقة القصر [3]، مرددين عبارات الرجاء والتمني كقولهم:

تاغنجا يا أم الرجا اللي عند الله راه جا

راه الطوبة عطشانة أرويها يا مولانا

راه الزرع يابس ورقو غيتو يا من خلقو [4]

بعد ذلك يتوجهون بهذه الشعارات صوب ضريح الولي، وكأنهم يطلبون منه التضرع إلى الله لينزل غيثه[5]، ونفس الطقوس كانت تمارس بكافة أضرحة المنطقة. إن قدرة الولي لا تنحصر في استنزال المطر، بل أنها تتعداه إلى إيقافه، والتخفيف من خطره، فقد ذكر أحد سكان قصبة المحيريكية أنه في عام 1963 عندما اجتاحت فيضانات وادي زيز المنطقة رأى في المنام شاحنة مملوءة بالتراب، وبجانبها، رجل يبدو عليه الوقار يرتدي جلبابا أبيض وبلغة بيضاء، فتوجه الرجل صوبه، فقبل يده قائلا: " الله يطوّل ف عمر سيدي

---

[1] – رواية السيدة فاطمة فراس، م س.

[*] – مدينة تقع غرب مدينة أرفود على بعد حوالي 20 كيلومترا.

[2] – رواية شفوية مستقاة من مقدم " ضريح مولاي إبراهيم " الحاج عبد الرحمن الجير، 90 سنة، الساكن بقصر مولاي إبراهيم، بتاريخ: 07 / 05 / 2009

[3]– قسطاني بن محمد : الواحات المغربية قبل الاستعمار " غريس نموذجا ". منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات و الأطروحات رقم 3، مطبعة المعارف الجديدة الربط، ط 2005 ، ص: 207.

[4]– [4] – رواية شفوية مستقاة من السيدة مينة الدكيري، 80 سنة، الساكنة بقصر هبيبات، بتاريخ: 08 / 05 / 2009.

[5] – م ن.



© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

" معتقدا أنه من رجال السلطة، فأجابه : " أريد حفظ البلاد من المياه "، فلما سأل عن الرجل صاحب الجلباب أُخبر أنه الولي الصالح سيدي أحمد بن الهاشمي بأوصافه [1]. فمكانة الولي الصالح عند الله هي التي مكنته من القيام بهذه الأدوار حتى بعد موته.

وقد لعبت أضرحة المنطقة دورا آخر يتمثل في قضاء عدد من الحاجات كالزواج و إنجاب الذكور، و غيرها، وكل من تحققت غايته فإنه يقدم للضريح هدية تكون عبارة عن نقود أو شمع أو ذبيحة، فقد كان ذوو الحاجات يقدمون عدد من رؤوس الماعز إلى ضريح الولي الصالح سيدي يحي بن العباس دفين قصر اللحاين [2].

لقد شكلت الأضرحة مؤسسات اجتماعية لعبت أدوارا مختلفة مجسدة استمرار حضور الأولياء في ذهنيات الساكنة، فقامت بنفس الوظائف التي كان يقوم بها أصحابها وهم أحياء.

### 2) المواسم الدينية:

عرفت واحة تافيلالت وإلى وقت قريب انعقاد عدد من المواسم الدينية، و التي ارتبطت بعدد من الأولياء، وشكلت استمرارا لتراثهم، هذه المواسم التي كان يتعدى إشعاعها المجال الجغرافي للمنطقة إلى مناطق أخرى، و من أهم هذه المواسم:

#### – موسم دلائل الخيرات:

ينعقد هذا الموسم بقصير الشرفاء، و قد نظم هذا الموسم لأول مرة بهذا القصر عام 1952 ، بعد أن كان ينعقد بروضة سيدي بوبكار بقصر أولاد ابحر[3]، و ينعقد هذا الموسم تزامنا مع موسم جني التمور من كل سنة، حيث يجتمع في أتباع ومريدو الطريقة الجزولية في غابة القصر لتلاوة كتاب دلائل الخيرات الذي ألفه مؤسسها الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، و ذلك لمدة ثلاثة أيام، ويساهم في تمويل هذا الحفل عدد من ميسوري المنطقة [4]، و يحج إلى هذا الموسم عدد كبير من الأتباع من مناطق خارج تيزيمي كالريصاني و حنابو و الجرف و أوفوس ومكناس وتوروك ومراكش، بالإضافة إلى جزوليي فاس الذين لم يعودوا يشاركون مؤخرا في هذا الموسم [5]، هذا الموسم يشكل امتدادا للطريقة الجزولية ولتراث مؤسسها الذي لا يزال متجذرا بالمنطقة.

#### – موسم مولاي إبراهيم:

يشكل هذا الموسم أيضا أحد أهم التظاهرات الدينية التي تعرفها منطقة الراحة وخاصة تزيمي، إذ ينعقد في أول أيام عيد الفطر من كل سنة، بحضور مختلف الطوائف الصوفية المعروفة في منطقة تافيلالت ب " ضريح " الولي الصالح مولاي إبراهيم، والمتمثلة في أتباع الطائفة الجيلالية التي تكون أول الطوائف الداخلة إلى ساحة قصر مولاي إبراهيم ، متبوعة بالطائفة اليوسفية نسبة إلى سيدي أحمد بن يوسف دفين مليانة، ثم الطائفة الغازية، ثم الطائفة الوزانية [*]، ثم الصادقيين أتباع سيدي أحمد بن عبد الصادق، ثم أخيرا

---

[1] – رواية ابا هشوم، 74 سنة، الساكن بقصبة المحريكية، بتاريخ: 2009/05/10.

[2] – رواية فاطمة فراس، م س.

[3] – أشبرو مبارك و العلوي عبد السميع مصطفى: أرفود تاريخ و أعلام، بحث ميداني (مرقون)، 1994، ص: 13.

[4] – رواية شفوية مستقاة من السيد حدا بن المكي، 66 سنة، الساكن بقصبة بنعلي، بتاريخ: 02 / 05 / 2009.

[5] – رواية شفوية استقيتها من السيدين: مولاي سليمان 80 سنة، و إدريس 65 سنة، الساكنين بقصر أولاد عقبة، بتاريخ: 03 / 05 / 2009

[*] – نشأت الطريقة الوزانية بالمغرب على يد مولاي عبد الله الشريف الذي ولد بتازروت في منطقة بني عروس عام 1005هـ / 1596م، و الذي كان واحدا من أكبر شيوخ التصوف بالمغرب، أخذ عن سيدي علي بن أحمد بن صرصار، و سيدي عيسى بن ، و سيدي عيسى بن الحسن ألمصباحي ، و قد قامت هذه الطريقة على مبادئ الجزولي التي تلقاها سيدي علي بن أحمد شيخ مولاي عبد الله الشريف،، و قد عمل نجلا مولاي عبد الله الشريف مولاي التهاميو مولاي الطيب على الرقي بالزاوية و الطريقة مما أدى إلى تزايد إشعاعها، و ذيوع صيتها ، و توجد الزوايا الوزانية في كل مدن المغرب .

– أنظر:



© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

طائفة العبيد، وتأخذ كل طائفة مكانا مخصصا لها داخل الضريح، وتقضي هذه الطوائف هذا اليوم في تلاوة الأذكار والمديح إلى غاية صلاة المغرب حيث يرفع جيلاله علمهم إيذانا بانتهاء الحفل، فيكونوا أول من يغادر المكان متبوعين ببقية الطوائف على نفس الترتيب السابق الذكر [1]. والسؤال المطروح هنا لماذا تتصدر الطائفة الجيلالية باقي الطوائف أثناء دخول ومغادرة الضريح ؟ و أين هم أتباع الطريقة الجزولية ؟ و ما هو سبب عدم مشاركتهم؟

**على سبيل الختم**

إن معالجة تيمة الولاية الصوفية وعلاقة رجالها بمجتمع مجالات الواحة والمناطق المجاورة تحتاج من الدارسين مزيدا من التنقيب والبحث المضنيين في مستغلقات واستشكالات هذه العلاقة. خاصة في ظل ندرة أو غياب المادة المصدرية المكتوبة حول هذا المجال، مما يستلزم الاعتماد على ما تختزنه الذاكرة المحلية من روايات شفوية يجب التعامل معها بكثير من الحيطة والحذر لما تحمله من مزالق وهنات. ومع ذلك فإن الباحث مطالب بالاستفادة من هذا الخزان

*BELLAIRE – MICHAUX : Essai sur l'histoire des confréries marocaines, HESPERES, éditions stouky, Rabat, 2ème Trimestre, 1921, TOME I , p : 153 / 157.*

[1] – رواية الحاج عبد الرحمن الجير، م س.



© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/